حول القراءة الإسلامية للسياسة الأميركية

17-8-2005

بلا شك هناك تعبئة دينية وصور نمطية سلبية متبادلة، وهناك مشروع غربي- أميركي يسعى إلى الهيمنة حماية لمصالح حيوية في هذه المنطقة، لكن في المقابل يجب أن يكون هناك إدراك حضاري إسلامي متقدم يصنع خطابا إعلاميا نحو الآخر يحاول أن يبني جسورا لتواصل إنساني جديد بعبر عن قيم التعاون والتعارف واللقاء على خير الشعوب والمجتمعات، ويعزل الدين عن الأطماع لسياسية والاقتصادية، فيواجه الأطماع السياسية والاقتصادية وما تتلبس به من شعارات دينية من ناحية، ويقدم مشروعا نهضويا ضد الهيمنة الغربية من ناحية أخرى.

بقلم محمد أبو رمان

ثمة اتجاه إسلامي عريض ينظر إلى السياسة الخارجية الأميركية من خلال المنظور الديني، ويعتبر أن الدين هو العامل الرئيس والمحدد الأول لفهم أبعاد السياسة الأميركية تجاه العالم الإسلامي، والدليل الذي يردده الإسلاميون على هذا التفسير يقوم على اقتباسات متعددة وكثيرة من تصريحات المسئولين الأميركيين التي تؤكد إيمانهم بعودة المسيح ونبوءات الكتاب المقدس لديهم التي تبشر بصراع مع المسلمين في نهاية التاريخ وإقامة هيكل سليمان..الخ. ومن أبرز الكتب التي تقدم توضيحا للبعد الديني في السياسة الخارجية الأميركية كتاب الدكتور سفر الحوالي المعنون بـ"الوعد الحق والوعد المفترى" الصادر في بداية التسعينات من القرن المنصرم.

في الحقيقة لم يعد إنكار أهمية العامل الثقافي والديني في العلاقات الدولية ذا منطق قوي، خاصة مع بروز رؤى إستراتيجية فكرية غربية رئيسة في العلاقات الدولية تعيد أغلبها الاعتبار إلى دور الثقافة والدين في هذا المجال، ككتاب صموئيل هانتنجتون المعروف "صدام الحضارات" وكتاب فوكوياما "نهاية التاريخ"، وصعود اليمين المسيحي الأميركي والمحافظين الجدد ولهم خلفيتهم الدينية المعروفة التي أثارت الجدل حتى داخل أميركا ذاتها وتحالفهم مع الانجليين الأصوليين وبروز اليسار المسيحي المعارض للمحافظين الجدد ورؤيتهم السياسية، ويترافق ذلك مع بروز الحركات الإسلامية المسلحة كفاعل واضح على الساحة الدولية واتخاذ "الحرب على الإرهاب" في أحد جوانبها صبغة دينية لدى كثير من الناس في العالم الإسلامي والغربي.

والقبول بدور الدين في العلاقات الدولية، وفي توجيه السياسة الخارجية الأميركية لا يعني استثناء العوامل الأخرى كالمصالح السياسية والاقتصادية وموازين القوى من ناحية، ويثير جدلا في العديد من القضايا والإشكاليات التي تتطلب حوارا موضوعيا وعقلانيا يبتعد بنا عن الاستسلام لمصائر تراجيدية دينية للعلاقات الدولية تدفع كثير من الناس إلى انتظار "المسيح الدجال" أو "معركة هارمجدون" وما يرتبط بالنبؤات الدينية والغيبية لنهاية التاريخ.

الإشكالية الأولى تتعلق بسؤال رئيسي يجعله د.عبد الله النفيسي (أستاذ العلوم السياسية الكويتي) عنوانا لورقة بحثية له، وهو: هل تنتهي مشكلتنا مع الغرب بتأمين مصالحة في منطقتنا؟، ويذهب النفيسي إلى نتائج وخلاصات تؤكد أن الدين هو محور الصراع وأنه محور السياسة الخارجية الأميركية في المنطقة العربية، وأن الحل هو مقاومة المشروع الأميركي –الذي يمثل قلب مشروع الهيمنة الغربية على العالم الإسلامي- وعلامة الاستفهام التي تطرح على رأي النفيسي هي: هل كان فعلا هناك محاولة عربية وإسلامية لإجراء المصالحة المفترضة مع الغرب وإدارة حوار سياسي عقلاني معهم من منطلق الندية والقوة حتى نصل إلى هذه النتيجة التي وصل إليها النفيسي، أم أننا ما زلنا إلى الآن عاجزون عن صوغ خطاب إعلامي ذات مضمون فكري قوي يوضح مصالحنا وشروط العلاقة مع الغرب والولايات المتحدة؟ أم أننا لم نحدد بعد مصالحنا في منطقتنا بشكل جدي وموضوعي؟..

الإشكالية الثانية، أنه مع الإقرار فعلا بوجود صور نمطية متبادلة بين الطرفين الأميركي والإسلامي تستدعي دوما تجربة الصراعات الدينية التاريخية أو أشباح الحروب الصليبية (على حد تعبير السيد يسين) أو صورة متخلفة عن العرب والمسلمين لدى الرأي العام الأميركي تربطهم بالتخلف والإرهاب، لكن السؤال الذي يطرح في هذا السياق هل تعبر هذه الصور النمطية عن موقف الأديان الصحيح أم عن مفاهيم خاطئة متبادلة؟ وهل مصالحنا كبشر من مختلف الأديان والثقافات أن نستسلم لمنطق صدام الأديان وهستيريا نهاية التاريخ؟ أم حوار الأديان والثقافات وتعايشها؟، وفوق هذا وذاك هل يمكن اختزال الغرب والولايات المتحدة وهذه الشعوب بالنخب السياسية والمثقفة التي تتبنى منطق الصراعات الدينية حتى نحكم بانسداد أفق الحوار الديني والحضاري؟!.

بلا شك هناك تعبئة دينية وصور نمطية سلبية متبادلة، وهناك مشروع غربي- أميركي يسعى إلى الهيمنة حماية لمصالح حيوية في هذه المنطقة، لكن في المقابل يجب أن يكون هناك إدراك حضاري إسلامي متقدم يصنع خطابا إعلاميا نحو الآخر يحاول أن يبني جسورا لتواصل إنساني جديد بعبر عن قيم التعاون والتعارف واللقاء على خير الشعوب والمجتمعات، ويعزل الدين عن الأطماع لسياسية والاقتصادية، فيواجه الأطماع السياسية والاقتصادية وما تتلبس به من شعارات دينية من ناحية، ويقدم مشروعا نهضويا ضد الهيمنة الغربية من ناحية أخرى.

ولعل المثال الواضح في هذا السياق تلك الرسالة التي أرسلها ستون مثقفا أميركيا يبررون فيها حروب بوش بعنوان "على أي أساس نقاتل". فرد عليهم فقهاء وعلماء دين سعوديون برسالة حضارية متقدمة مضمونها يحمل دلالاتها الدينية والثقافية، وهو "على أي أساس نتعايش"، فالأديان يفسرها البشر وهم الذين يوظفونها إما لخلق الصراعات والكوارث والكراهية وإما لوضع لبنات التعارف والتعاون والرحمة بين الناس، والمصالح هي المصالح سواء ارتدت ثوبا دينيا أو دنيويا! .